**بسم الله الرحمن الرحيم**

وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، اللهم صل على محمد وآل محمد واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وصل الكلام إلى البيان الثاني للتعريف الثاني لمصطلح **التفسير النفسي للقرآن الكريم**.

**تساؤل وإجابة حول التعريف الثاني**

قد يطرح تساؤل في المقام يبتني على مقدمتين:

1. أن لنزول القرآن الكريم أهدافًا وغايات عديدة، منها إقامة القسط كما في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾** (الحديد: 25). ومنها إحياء الذكر كما في قوله تبارك وتعالى: **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** (ص: 29). ومنها الهداية والرحمة كما في قوله تعالى: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾** (النحل: 89).
2. أن هناك فرقًا بين تحليل **الهدف** و**تحليل المراد الجدي** من الآية، أي أن هناك فرقًا بين تحديد **الغاية** وتحديد **المُغَيَّا**.

فلاجل ذلك، يقال بأن ما ذُكر أنه **تفسير نفسي للقرآن** غايته أن هذا هدف من أهداف نزول القرآن، أي أن من أهداف وغايات نزول القرآن الكريم ربط العبد بربه ربطًا نفسيًا. فهذه غاية، لا أنها تفسير نفسي للقرآن. باعتبار أن **التفسير هو تحليل المراد الجدي** لآيات القرآن، لا تحليل المراد الجدي من الهدف والغاية من نزول القرآن، كي يقال بأن ربط العبد بربه ربطًا نفسيًا هو تفسير نفسي للقرآن، فإنه تحليل للغاية من نزول القرآن وليس تحليلًا للمُغَيَّا، أي تفسيرًا للمراد الجدي من القرآن الكريم.

مثلاً، عندما نقرأ قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾** (آل عمران: 42). تارة نبحث عن تحليل المراد الجدي من الآية، وتارة نبحث عن الهدف من نزول هذا القول إلى مريم عليها السلام. فلا يمكن أن نعتبر الهدف والغاية من نزول الآيات هو تفسير للقرآن، بحيث يندرج تحت عنوان التفسير النفسي للقرآن.

ويمكن الإجابة على هذا التساؤل بأنه سبق أن تكرار **كلمة "الله"** في كل سورة عدة مرات كاشف عن كون الذات المقدسة **فكرة محورية** للقرآن الكريم، لا أنها مجرد هدف من أهداف النزول أو غاية من غايات النزول. بل إن الله (الذات المقدسة) هي **الفكرة المحورية المركزية** لآيات القرآن الكريم، ومقتضى محوريه هذه الفكرة وهو الله أن يربط العبد بربه، إذ لا معنى لمحورية الإله في القرآن المخاطب به العبد من دون أن يكون القصد هو ربط العبد بربه.

فمعنى أن الله هو الفكرة، هو النقطة المركزية المحورية في آيات القرآن الكريم، معنى ذلك أن **المقصود جداً والمراد جداً هو ربط العبد بربه** تبارك وتعالى. وهذا الربط كما تعلم على أصناف ثلاثة:

1. **ربط عقدي:** وهو عقيدة التوحيد الذي عبرت عنه الآية المباركة: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** (الإخلاص: 1).
2. **ربط سلوكي:** وهو الطاعة الذي تكرر في القرآن الكريم: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾** (النساء: 59).
3. **ربط نفسي:** وهو الشعور بالقيمومة الإلهية.

**الربط النفسي وتنوع مفاهيمه**

صحيح أن الربط السلوكي مقصد ومراد جدي في الآيات القرآنية، إلا أن هذا العنوان كلي له حقائق ومفردات متنوعة باختلاف الموارد. كذلك الربط النفسي الروحي، صحيح أنه عنوان يجمع الآيات القرآنية كلها، لكنه أيضًا ذو مصاديق متنوعة بتنوع الإشارات والمقتضيات.

مثلاً، نقرأ من الآيات المباركات التي ظاهرها أن للقرآن تأثيرًا سحريًا نفسيًا على النفوس المؤمنة المتدبرة:

* **﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾** (المائدة: 83).
* **﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾** (القمر: 17).

لهذا المعنى أشار الإمام أمير المؤمنين (ع) في خطبته عن المتقين، حيث قال: "أما الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم..." ولولا أن للقرآن تأثيراً لما أمكن تحزين الأنفس به.

كما أشار الإمام علي (ع) في خطبة أخرى عن الأنبياء: **"فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول"**.

إن للقرآن تأثيرًا نفسيًا يثير كامن الفطرة ويفك الشفرة الخفية الكامنة في فطرة الإنسان. وهذا التأثير له ألوان ومفردات متنوعة بتنوع الآيات:

* **﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾** (الزمر: 53): يثير الشعور بالعناية واللطف والرحمة.
* **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾** (المؤمنون: 99): يثير الشعور بحقارة الدنيا وقِصَرها.
* **﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾** (الشعراء: 78-80): يثير الإحساس بالانقطاع إلى الله في جميع الأمور.
* **﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾** (الرعد: 13): يثير الرهبة والخوف.
* حتى آيات المعاملات، مثل آيات الميراث التي تُعقب بقوله: **﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾** (النساء: 11)، تثير الشعور بالرضا والتسليم بما قسم الله.

**التعريف الثالث: القرآن كمرجع لأصول علم النفس**

إن **التعريف الثالث** للتفسير النفسي للقرآن هو أنه عبارة عن اشتمال القرآن على **أصول علم النفس بالمنظور الإلهي**، بحيث يكون القرآن هو المرجع في علم النفس، وليس العكس. وهذا التعريف معاكس تماماً للتعريف الأول الذي كان يرى أن المرجعية لعلم النفس الوضعي.

بيان ذلك يعتمد على عدة أمور:

1. **وثاقة العلاقة بين القرآن والإنسان:**
	* **أفكار النفس آية من آيات الله:** يرى القرآن أن عنوان **"الآية"** ينطبق على مظاهر العظمة في الكون، وعلى المضامين القرآنية نفسها، وكذلك ينطبق على أفكار النفس البشرية، كما في قوله تعالى: **﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾** (الذاريات: 20-21).
	* **القرآن والإنسان توأمان:** الإنسان حين يقرأ القرآن قراءة تدبر، فإنه يقرأ شخصيته في القرآن، كما يشير إليه قوله تعالى: **﴿الرَّحْمَٰنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾** (الرحمن: 1-4).
2. **أصول علم النفس في القرآن:**
	* **مراحل الوجود:** تحدث القرآن عن النفس ومرادفاتها في أكثر من 300 آية، وبيّن مراحل الوجود الإنساني الثلاث: النفخة **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾** (الحجر: 29)، ثم النفس **﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾** (المؤمنون: 14)، وأخيراً الحياه الحسية **﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾** (النحل: 78).
	* **أنواع النفس:** جعل القرآن للنفس أربعة أصول: **الملهمة** **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** (الشمس: 7-8)، **اللوّامة** **﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾** (القيامة: 2)، و**الأمّارة**، و**المطمئنة**.
	* **أركان الكيان الداخلي:** تحدث عن قوى الإنسان المحورية مثل **القلب** **﴿إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾** (الحج: 46)، و**الإرادة** **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾** (الإسراء: 18)، و**اللبّ** **﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (الزخرف: 3).
	* **ساحة الصراع:** وصف الإنسان بكونه ثنائية الضد، حيث يعيش صراعاً بين ميلين: جلب المحبوب ودفع المكروه. **﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾** (الانشقاق: 6). وهذا الصراع يظهر في صفاته مثل **الجدل** **﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾** (الكهف: 54)، و**العجلة** **﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾** (الأنبياء: 37)، و**الهلع** **﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾** (المعارج: 19).

يأتي الكلام إن شاء الله حول كيفية استثمار هذه القوى المتصارعة، وندخل في مبنى السيد السيستاني (مد ظله) وماذا ذكر في التفسير النفسي وماذا أضاف وما الذي يترتب على كلامه، في الليلة القادمة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.